

المحاسن الأدبية في شعر محمد سعيد السندی
Literary Beauties in the poetry of *Muhammad Saeed al-Sindhī*

Hafiza Nasreen Akhtar

Doctoral Candidate Arabic, Govt. College University Faisalabad

Dr. Iftikhar Ahmad khan

HOD, Department of Arabic, Govt. College University Faisalabad

Abstract

The sub-continent is one of Allah's blessed lands, it is the Land of preachers, Scholars, Religion people, Traders, writers and poets. Arabs were aware of the importance of Sub-continent, because they used to travel to Subcontinent for trade before Islam. When Muhammad bin Qasim came for the purpose of conquering India, many scholars, writers, and poets came with him, and they exerted their efforts to spread Islam and the Arabic language, most of whom were religious scholars and Sufis, and among the most famous Arabic poets in the Indian subcontinent, Like Abu Atta Al-Sindi, Al-Biruni, Ata bin Yaqoub Al-Ghaznawi, and Sheikh Fakhr Al-Din Al-Iraqi. Sheikh Rukn al-Din al-Multani, Judge Abd al-Muqtadir al-Sharihi al-Kindi, Sheikh Ahmad al-Thansiri, Shah Wali Allah Mohaddith al-Dahlawi, Sayyed Ghulam Ali Azad al-Bilgrami, Sheikh Muhammad Saeed al-Sindi, and others. Sheikh Muhammad Saeed Al-Sindhi was a popular religious scholar, a famous Sufi, and a great and talented poet. He demonstrated his poetic talent in the three languages: Arabic, Persian, and Sindhi. He wrote his poems in Arabic and Persian. Indian and Arab scholars have praised his Broad expertise in

the Arabic language and literature. He writes many poems in these two languages, which became famous in the Indian subcontinent because of his expertise. We find many literary virtues in his poems, such as the diverse words, structures, and styles. Beautiful pictures, deep imagination, music, etc.

Keywords: Subcontinent, Arabic Poet, Literary virtues, Saeed al Sindhi, Sufi, Religious Scholar

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين- وبعد! فإن شبه القارة الهندية من بلاد الله السعيدة التي هبت عليها نفحة من نفحات الإسلام منذ القرن الأول الهجري، فلم تزل محط رحال المسلمين من الدعاة والغزاة والقاتحين من العلماء والصلحاء والشعراء وكان العرب يعرفون أحوال شبه القارة وأهلها، لأنهم كانوا يسافرون إلى شبه القارة للتجارة قبل الإسلام -وعند ما جاء محمد بن قاسم إلى هذه البلاد لفتح الهند فأتى معه كثير من العلماء والأدباء والشعراء وسكنوا في الهند وبذلوا جهودهم لإشاعة الإسلام واللغة العربية وأكثرهم من علماء الدين والصوفية-ومن أشهر شعراء العربية في شبه القارة الهندية، أبو عطا السندي، والبيروني وعطابن يعقوب الغزنوي، والشيخ فخر الدين العراقي، والشيخ ركن الدين الملتاني، والقاضي عبد المقتدر الشريحي، والشيخ أحمد التهانسي، والشاه ولي الله المحدث الدهلوي، والسيد غلام على آزاد البلكرامي، والشيخ محمد سعيد السندي وغير ذلك-

يعد شيخ محمد سعيد السندي من أبرز شعراء الهند الذين نظموا كلامهم بالعربية والفارسية والسندية وكان شاعراً بارعاً في المديح النبوية الشريف مع كونه عالماً كبيراً وفقياً دقيقاً، وكانت له الدربة الواسعة والمقدرة الكاملة على الكتابة وله سيرة كاملة ومهارة تامة في البيان والمعاني وأن مدائحه مملوءة بالاعتباسات من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة والتابعين والعلماء الصالحين- ولد الشيخ محمد سعيد السندي سنة ١٨٢٢م في مدينة لواري¹ ونشأ في أسرة دينية علمية متمسكة بتعاليم الإسلام، حيث كان أبوه وجده من كبار علماء المتصوفين وتعلم العلوم النقلية والعقلية على يد كبار العلماء في عصره- مثل والده وشيخه السيد علي شاه البخاري- وله خدمات جليلة وجهود جبارة في خدمة الإسلام والمسلمين وخاصة مدرسته العلمية هي إحدى مركزين مراكز المعرفة العظيمة حيث يشارك العديد من العلماء والمحدثين العظماء في الدرس والتدريس، وتوفي الشيخ محمد سعيد السندي سنة ١٩٠٦م²

كان الشيخ محمد سعيد السندي عالماً متبحراً و فقيهاً شهيراً وشاعراً كبيراً والشاعرية هبة من الله سبحانه وتعالى فقد أظهر موهبته الشعرية باللغات الثلاث العربية والفارسية والسندية- (3) وقد كتب مصنفاته في العربية والفارسية وقد أثق عليه علماء الهند والعرب على طول باعه في اللغة العربية وآدابها- ونظم القصائد العديدة في هاتين اللغتين التي اشتهرت في شبه القارة الهندية بسبب حسنها الفني وجمالها المعنوي، ونجد المحاسن الأدبية الكثيرة في هذه القصائد مثل الألفاظ والتراكيب والأساليب المتنوعة والصور الجميلة والمعاني المبتكرة الجيدة والأخيلة الخصبة وحسن الموسيقى الشعرية وغير ذلك- الآن نذكر بعض المحاسن الأدبية والسمات البارزة في شعر محمد سعيد السندي وهي كما يلي:

١- الألفاظ والتراكيب

قال حسن البصير عن الأدب:

”الأدب يقوم على ثلاثة عناصر متحدة وهي : عنصر الألفاظ والمعاني، وعنصر الصورة-“³

وقال قدامة بن جعفر عن اللفظ:

”اللفظ أن يكون سمحا سهل مخارج الحروف عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة-“⁴

والتراكيب ما تتركب من اثنين أو أكثر، يتضح به مفهوم الكلام، وفي ذلك يقول جبور عبد النور صاحب المعجم الأدبي: ” تتجدد فيه عناصر مفردة أو أجزاء متعددة المصادر، فتتألف منه وحدة منسجمة-“⁵ والحق إن اللفظ عنصر مهم من عنصر الشعر، وخاصة في الدراسات الشعرية- وأن الألفاظ والكلمات في لغة الشعر لها وظيفتها ومكانتها ولها معانيها ودلالاتها وإيحاءاتها، وللشعر لغة خاصة، وألفاظ معروفة وهي الوسيلة لمعرفة مقدار ما بين الجيد والردئ- والشعر الجيد يمتاز بتجانس الألفاظ والمعاني، ويمتاز أيضا باختيار الألفاظ المناسبة التي يشترط فيها أن تجيء على قدر المعاني دون زيادة أو نقصان- وجملة القول، إن الألفاظ الشعرية عنصر مهم من عناصر الصياغة الشعرية في الشعر العربي-

إن الشيخ محمد سعيد السندي له رتبة عظيمة ومكانة رفيعة بين شعراء شبه القارة الهندية، وكان شاعرا فطريا فقد أظهر موهبته الشعرية باللغات الثلاثة، العربية والفارسية والسندية- كان شاعرا مجيدا للغة العربية وكان مطلعاً على الآداب العربية لأنه نشأ في أسرة دينية، لها مع اللغة العربية وآدابها باع وتاريخ حافل، وكان والده وجدّه على سبيل المثال -مما يجيدون العربية إجادة تامة وألفوا بها- وعند ما نطالع شعر الشيخ محمد سعيد السندي خاصة القصائد الغزلية والقصائد المدحية والقصائد التصوّف التي نظمت في الأدب الصوفي والمناجاة لله سبحانه وتعالى، وللرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأهل البيت والصحابة الأولياء الصالحين وعلماء الدين، يتضح لنا اللغة التي

استخدمها واستعملها هي اللغة اللغة سهلة مع فصاحتها مثل القصيدة التي نظمت وكتبت والى مكة المكرمة ومن خلال بعض قصائده القصيرة التي نظمها في مدح النبي ﷺ تارة-

بحمد الله حمدة كان حمد محمد ذاته بالذات مجدهما

مكرم بيته باليمن فضلا وجاعله مطاف الناس جما

صلوات الله وتسليمه على من به تلك المدائن زدن شرفا

نبي كان مظهر ملة الله رسول داعي للناس عمّا

وأهل البيت هم سنن النجاة كذا والصحب بالرضوان خضا

مزاكاة من الأوناس والرجس يطهركم بتطهيرا مقيما

أمان الأرض عن كل المكارة بمثل النجم للأعداء رجما⁶

عند ما ننظر إلى هذه الأبيات بنظر دقيق، يظهر لنا أنه استخدم الألفاظ السهلة والكلمات البسيطة والتراكيب السهلة المتينة الممتعة مثل حمد الله، وحمد، ومحمد، ومجدهما، ومكرم، وبيته، وباليمن، وجاعله، ومطاف الناس، وصلوات الله، وتسليمه، والمدائن، ومظهر، وملة الله، ورسول، وداعي للناس، وأهل البيت، وهم، سنن النجاة، والصحب، والرضوان، وأمان الأرض، والنجم، والأعداء. كما استخدم في هذه الأبيات الأفعال المعروفة السهلة وسهلة التراكيب مثل زدن، شرقا، يخلدربنا، واشرقن نوراً وغير ذلك. وفي هذه الأبيات استخدم شاعرنا الجمل القصيرة كي يفهم القارى معانى الشعر بدون أى دقة. وهكذا لا نجد في شعره تكرار الذى يفهم العيب للكلام. وأحيانا هو يستخدم في شعره الكلمات الصعبة ونادرة مثل الشعراء الجاهليين الألفاظ والكلام، نحو مزاكاة، هنا بمعنى مطهرة والأوناس بمعنى الكثير الإنس والرجس بمعنى نجس والمكارة. وغير ذلك. ونجد في أكثر قصائده المدحية سهل الألفاظ والكلمات والتراكيب الممتعة والأفعال السهلة كما هو يقول في قصيدته المدحية للنبي الكريم ﷺ:

أيا ختم الرسل أجمع رؤوفا شافع الأمم
نبيّ قد تشرفك بديع به لفي القدم
ينور وجهك الظلمة كشمس في ضحاياها
فضوءك منه مندرس ضياء البدر والنجم
نبيّاً مرسلأ قد كنت عند الله في غيبه
وأدم كان في سلسال حماء ساكن العدم⁷

نرى في هذه الأبيات الأسماء التي استخدمها شاعرنا بسيطة وسهلة مثل ختم الرسل، ورؤوف، وشافع الأمم، ونبيّ ووجه، والظلمة، وشمس، وضياء البدر والربّ، والإسراء، والروح، والعقل، وغيب الله، وأدم، وغير ذلك.

وهكذا الأفعال التي استخدمها الناس عامة في الكلام اليومي، مثل أجمع، وتشرف، وينور، وغير ذلك. ومن أمثال الكلمات الصعبة قد يوجد بعض الألفاظ، في الأبيات السابقة أي ضحاياها، ومندرس، وملتمنم وسلسال، وغير ذلك. وعند مانطالع شعره خاصة قصائده المدحية للنبي الكريم ﷺ، يتضح لنا أنه قد استخدم الكلمات السهلة والجمل القصيرة وحسن التراكيب، وفي هذا الصدد قوله:

حقير الحال فلس البال بابك جاء ملتسا
فكرمه وشرفه بعين اللطف والكرم
ودارك يا حبيب الله ميت القلب بالإحياء
فأرسل من سحاب اللطف ماء الفيض كالديم
ويسأل منك حبك من حقيقتك الذي منه
يعي الدمع من صدقه كالسلك الدرر منتظم
ودارك يا حبيب الله غياث الخلق يا سندی
سعيداً مستغيثاً بك نكيس الرأس من ندم⁸

وبعد إمعان النظر والدراسة المتأنية يظهر لنا أن الشيخ محمد سعيد السندی كان محباً صادقاً للنبي الكريم ﷺ وهو يطلب من الرسول الكريم ﷺ اللطف والكرم والرحمة والشفقة عند كرب حياته ومصائبه ومشاكله ويستغيث أيضاً به ﷺ نادماً وعجزاً. في هذه الأبيات قد استخدم شاعرنا الجمل القصيرة والتراكيب السعادة المتينة والقارى يفهم هذه الأبيات بالسهولة، بدون الصعوبة المشكلة- والتراكيب التي استخدمها شاعرنا نعدّ من أحسن التراكيب وهكذا استعملت هذه التراكيب في الشعر القديم أي في العصر الجاهلي وفي عصر صدر الإسلام وفي العصر الأموي، والعباسي، وهكذا استخدم شعراء العصر الحديث في أبياتهم وقصائدهم المدحية- وعند مانظر هذه الأبيات حسب اختيار الألفاظ والكلمات يتضح لنا أن هذه الكلمات سهلة وجيدة ومن هذا يظهر لنا أن له مهارة تامة

في اختيار ألفاظه الممتعة والكلمات السهلة هي: حقيير الحال، وفلس البال، وبابك، ملتماً، واللفظ، والكرم، ودارك، ويأحبب الله، وميت القلب، و سحاب اللطف، و ماء الفيض، وغير ذلك- وهكذا قد استعمل شاعرنا الأفعال المألوفة والشهيرة نحو: جاء، وكرم، وشرف، وأرسل، وغير ذلك.

الأساليب المختلفة التي استخدمها في شعره

الأسلوب : وضّح صاحب المعجم الأدبي كلمة "الأسلوب" فقال: الأسلوب هو الطريقة التي يستخدمها الشاعر أو الكاتب في التعبير عن موقفه والإبانة عن الشخصية الأدبية المتميزة عن سواها وخاصة في اختيار الألفاظ وصياغة العبارات والتشبيه والإيقاع.⁹ والأسلوب هو الوسيلة التي ينقل بها الإنسان معانيه وأفكاره وأحاسيسه إلى غيره، ولكل أسلوب سمات، يتميز بها عن غيره، يدل على صاحبه، وهذه السمات أو الخصائص هي التي تتيح للأسلوب التأثير في الآخرين وتهبه الخلود، وسوف نستعرض هذه السمات في أسلوب الشيخ محمد سعيد السندي معتمدين على شعره- إنَّ الشيخ محمد سعيد السندي قد شغف باللغة العربية منذ طفولته وغرس كلَّ من جدّه خواجه محمد زمان الثاني السندي والديه خواجه محمد حسن الشاه المدني، هذ الحب في قلب الشيخ محمد سعيد السندي منذ أن يبلغ حد الشوق فأقدم هذا الابن المتأدب المطيع لوالده وجدّده على تعلّم اللغة العربية بكل شوق وشغف. وأحبها حباً شديداً بوصفها لغة الدين الحنيف، ولغة الحبيب المصطفى ﷺ فأنكب على مطالعة اللغة العربية شعراً ونثراً، وتناول دراسة الأدب العربي في عصوره الأدبية المختلفة قدر المستطاع، فانتمت موهبته الشعرية أعذب أساليب العربية لتنظم بها، وقد ورد كذلك ينايب البلاغة واصطفت منها الأساليب التي أضافت رونقا وبهاء إلى موهبته الشعرية، فتجلت هذه الأساليب في شعره حين على نظم الشعر بلغات ثلاثة من بينها العربية، هذا إلى العلوم الإسلامية والعربية التي برع فيها. أصف إلى ذلك رهافة الحسن، وسعة الخيال، وهذا شق شاعرنا لنفسه الطريق فأتى بالأسلوب والتابع الخاص الذي تفرد به، والذي به عما تفيض به شاعريته، إنه في المقام الأول كان عالمادينا ولم يكن متفرعا لنظم الشعر بل كان ينفس عن موهبته من وقت لآخر، فينظم قصيدة أو منظومة عربية، ولكنه معه ذلك عند اقدمه على نظم الشعر كان يهتم بألوان البديع، وكان أدبه نابعاً من فطرته، لأنه شاعر وأديب بالفطرة مما جعل شعره العربي أعلى قدرا من شعر الكثيرين من معاصريه في شبه القارة الهندية. ومما يميز أسلوبه في الشعر هو كثرة إقدامه على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الأئمة وحكيم العربية، وهذا ليس بشيء مستغرب عنده لأنه عالم ديني، نشأ في بيت العلم والفضل وبالتالي أمضى حياته في خدمة الإسلام والمسلمين، ولهذا وجدنا أن أسلوبه تأثرا بحياته وحبه وميوله الدينية، ونسوق لذلك مثلا مما نظمه شيخنا محمد سعيد السندي ونسمة يقول:

يا محمد لشانك إلا وسع
أكرم الله ذكرك إلا رفع
راحما جئت مؤمنين اجمع
فأرأفوني بحالي الأجداء
في جميع الحال والمجمع
حبّذا أن تقول آمينا¹⁰

نجده في هذا التخميس انه مقتبسا من الآيتين من القرآن الكريم ، أولا قد اقتبس شاعرنا من كلام الله سبحانه وتعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾¹¹ فإنه أتى به لأعلى أنه من القرآن الكريم كما قد اقتبس- ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤف الرحيم﴾¹² فهذان المثالان للإقتباس ولقد جاء شاعرنا على هذا الإقتباس في مواضع كثيرة لدرجة أنه أصبح سمة من سماته الأسلوبية والفنية و يجد أننى لم أبالغ حين جعلت الإقتباس سمة من سمات شاعرنا الأسلوبية بل يجد أثر النصين الشريفين واضحا جليا في كل ما قاله شاعرنا على اختلاف الأغراض-ومن الممكن أن نقول هذه السمة مسيطرة على شعره الفارسي أيضا فضلا عن شعره العربي وذلك لما للدين في نفسه من أثر فتغذى وارتوى منهما نفسه الشعرى وطابعه اللغوى- هذه الأبيات التي قالها شيخنا في مدح النبي الكريم ﷺ في فن يقال له التخميس، ومن السمات الفنية إقدام شاعرنا على التخميس، ومن أمثال الإقتباس التي ذكرت في التخميس من شاعرنا كما هو يقول:

ربنا الله واحد أكبر
قال للسائل فلا تنهر
كيف تنهر لاجوج افقر
فامخوا مخة على المضطر
حمزة سابغته من الكوثر
كوثر ك أن تقول آمينا¹³

نظم شاعرنا هذه الأبيات في فن التخميس، والتخميس من السمات الأسلوبية الفنية ونجد مقتبسا من ثلاثة آيات القرآن الكريم ، أولا: قد اقتبس شاعرنا من سورة الاخلاص ﴿قل هو الله أحد﴾¹⁴ وثانيا قد اقتبس من قوله تعالى أيضا: ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾¹⁵ وثالثا: من قوله تعالى أيضا: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾¹⁶ ويظهر من هذا أن له مهارة تامة في الإقتباس والتضمين الذي زاد وأضاف أهمية شعره وحببه للغة العربية وحببه للقران الكريم وحببه للنبي الكريم ﷺ- ومن سمات شاعرنا الأسلوبية التشبيهية، ويحمل عليه ما يتفرغ عنه، وبه يزداد تأثير الكلام ويقرب معناه إلى الفهم، وشاعرنا لم يغفل من هذا اللون البياني، فقد أجاد وأتقن استخدام التشبيه إتقاناً ملموساً، شأنه في ذلك شأن العرب، فإنه يأتي

بالتشبيه حسب سياق الكلام-عندما نطالع شعر الشيخ محمد سعيد السندی وخاصة قصائده المدحية يتضح لنا أنه قد ذكر التشبيهات الرائعة في هذه القصائد ونجد الأمثلة المتعددة في مدح النبي ﷺ ونذكر بعض النماذج كما يلي:

ينور وجهك الظلمة كشمس في ضحاياها

فضوءك منه مندرس ضياء البدر والنجم¹⁷

في هذا البيت شبه شاعرنا نور وجه النبي ﷺ بالشمس في الظلمة بل أقلّ ضياء البدر والنجم من نور وجه النبي ﷺ-

ومن أجود شعره قوله أيضا في التشبيه

ويسأل منك حبك من حقيقتك الذي منه

يجئ الدمع من صدقة كسلك الدرر منتظم¹⁸

في هذا البيت قد شبه شاعرنا يجئ الدمع في حبه واشتياقه بسلك الدرر، وهذا التشبيه من أحسن التشبيه في ضوء البلاغة-ومن الظواهر الفنية عند شاعرنا إتيانه بالمجاز حيث أنه أقدم على بيان علو منزلة الممدوح وإنّي لأراه صادقا فيما قال، فإنه مدح الرسول الكريم ﷺ نظرا لمكانته العليا وفضائله العظيمة من جميع الخلق، وهو يظنّ ويرى نفسه أضعف وأقل من النمل ويرى أن ذنوبه أكثر من الجبل، وهو يريد ويطلب من الرسول الكريم ﷺ الشفاعة التي وعد سيدنا محمد ﷺ في حياته المباركة كما قال رسول الله ﷺ: عن أنس رضی الله عنه ﴿شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي﴾.¹⁹ ويقول شاعرنا بهذا الصدد:

عبدكم أضعف من النمل

كل ما عندنا نرى الجبل

فاشفعوا قبل فنجاءة الأجل

برد دا حرقة من النذل

مبشرا جئت رحمة الملل

ابتشر أن تقول آمينا²⁰

في هذا التخميس قد ذكر شاعرنا المجازين-المجاز الأول: هو "النمل" وهذه الكلمة تعطي معنيين أحدهما الحقيقي المعروف أي من أضعف حشرات الأرض وثانيهما غير حقيق أي عبد ضعيف وإنسان ضعيف، مثل النمل ل-وإذا تأملنا في معنى الكلمة، نجد الصلة بين المعنى الحقيقي للنمل، والمعنى الذي استعملت فيه كلمة النمل، وهذه العلاقة هي المشابهة لأن الشاعر انتقل إلى صفة الإنسان في هذا التخميس، وهذه القرينة تمنعنا عن إرادة المعنى الحقيقي، إذ نفهم المعنى المجازي فقط من كلمة "النمل"-وقد يوجد المجاز الثاني في هذا التخميس هو كلمة "الجبل" وهذه الكلمة تعطي معنيين، أحدهما

الحقيقي المعروف وثانيهما غير حقيقي أى ذنوب كثيرة مثل الجبل وإذا تأملنا في معنى الكلمة، نجد الصلة بين المعنى الحقيقي للجبل، والمعنى الذى استعملت فيه كلمة "الجبل" وهذه العلاقة هي المشابهة لأن الشاعر انتقل إلى صفة الإنسان في هذا التخمين، وهذه القرينة تمنعنا عن إرادة المعنى الحقيقي، إذ نفهم المعنى المجازى، فقط من كلمة "الجبل".

وكذلك من المحسنات البديعية التي استعملت بها شاعرنا أبياته، ووقعت له محسن يقال له الجنس، ولعل هذا اللون من المحسنات كان ينسجم جريئاً على لسان شاعرنا وبينه وبين الشاعر مجانسة، أعتقد أنى أشرت بذلك إلى الجنس الذى أقدم شاعرنا على استخدامه، وهذا منه ليس بقليل، وإنما نجد نماذج كثيرة خلال النتاج الشعري الذى انبثق من قريحة شيخنا، إنه جاء بالجناس في صدر البيت وعجزه وفيما يقول:

يا صاحب السر إن السر قد ظهرا

فلا أريد حياتا بعد ما السراشتهرا²¹

نلاحظ أن شاعرنا جاء بكلمة "السر" ثلاث مرّات، وهي تتشابهة في نوع الحروف وشكلها وعددها في ترتيبها، وهذا ما يسمى في علم البديع بالجناس التام - والحق أن شاعرنا من الأصحاب الذين يزينون شعره بالمحسنات البديعية وأبياته في نظرى تبرأ تماماً من التكلف والتصنع- ومحسناته تؤدى زينتها لشعره وخاصة في قصائده المدحية للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم -ومما توج به شاعرنا أدبه هو ما يسمى في علم البديع بالسجع، وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد- قد ذكر شاعرنا السجع في القصيدة المدحية التى قالها في فن التخمين وكما ذكرنا سابقاً بعض الأبيات العربية في تكرار كلامه مثل العين، والرین، والثقلین، والکونین والزین في الحرف الأخير يقال له السجع- وقال أيضاً في هذه القصيدة المدحية للنبي الكريم ﷺ:

حبك المصطفى يلاقينا

ذاك عمّا سواك يغنيننا

وهو كالنار لاهب فينا

أسأل الله كي يعافينا

حقك المرتضى يكافينا

راجيا أن تقول آمينا-²²

وقد ذكر شاعرنا في هذا التخمين الكلمات المتوافقة مثل "يلاقينا" و "يغنيننا" و "فينا" و "يعافينا" و "ويكافينا" و "آميننا" في الحرف الأخير، فهذا ما يسمى السجع في الكلام-ومن سمات شاعرنا الأسلوبية "النداء" هو طلب المتكلم انتباه المخاطب أو اقباله وأدواته هي: "يا أيها أيهمزة" وتتكون

صيغة النداء من حرف النداء والمنادى ثم جواب النداء، وقد ورد هذا التركيب النحوي في شعر شاعرنا في مواضع كثيرة وعديدة كما هو يقول في مدح النبي ﷺ:

أيا ختم الرسل أجمع رؤوفا شافع الأمم
 نبى قد تشرفك البديع به لفى القدم
 ودارك يا حبيب الله ميت الأرض بالاحيا
 فأرسل من سحاب اللطف ماء الفيض كالديم
 ودارك يا حبيب الله غياث الخلق يا سيدي
 سعيداً مستغيثاً بك نكيس الرأس من ندم-²³

في هذه الأبيات قد استخدم شاعرنا أدوات النداء "أيا" و"يا" و"يا" المستعملة للنبي صلى الله عليه وسلم. ومن أبرز الظواهر الفنية عند شاعرنا هو أسلوب القسم ، وقد ذكر شاعرنا هذه الصنعة في شعره ويقول محمد سعيد السندي بهذا الصدد في فن التخميس:

طال شوقى إليك وا شوقاه
 ضاقت الأرض فيك وا غوثاه
 من هموم الفراق واحزنه
 أنا عبد الذليل وا اسفاه
 فاجزبونى إليكم بالله
 جذبتك أن تقول آمينا²⁴

في هذه الأبيات قد توجد كلمة القسم هي "بالله" وهكذا نجد أيضاً بعض الأمثلة من أسلوب القسم في شعره.

الصور والمعاني والأخيلة في شعره

الصورة هي الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قراءه وسامعيه تدعى الصور الأدبية.²⁵ ومن المعروف تبني الصورة بالعناصر الأربعة وهي: الخيال، والفكرة والمعاني والألفاظ. وينبغي للأديب أن يستعمل هذه العناصر بطريق أحسن في إنتاج أدبه ولو كان شعراً أو نثراً. وأما المعاني فهي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر جهة دلالة الألفاظ...²⁶

والخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم وهم لا يؤلفونها من الهواء، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لاحتصلها...²⁷

و"الخيال هي الملكة المولدة للتصورات الحسية للأشياء المادية الغائبة عن النظر."²⁸ وهي تعدّ من أهمّ عناصر الأدب وهو أشدّ ضرورة في الشعر إذ هو الذي يتولّى صياغة التجارب الشعورية ويأخذ بيدها من عالم الشعور السلبي إلى الواقع الملموس، وينقل التجربة من شيء يعافى في إبهام غامض إلى شيء محسوس غاية في الوضوح فهو بمثابة المعبر بين الروح والمادة. أما أنواع الصورة الفنيّة، فإنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: وهي الصورة المقابلة والصورة التجريدية والصورة المجسّمة.²⁹ وعند ما نطالع شعر شيخنا فنجد في شعره في شعره الأخيلا والأفكار الواسعة والمعاني الجديدة عند ما نطالع شعره حول مدح النبي ﷺ وهذه العناصر عناصر الصورة الأدبية ولذلك الصورة الأدبية في شعر محمد سعيد السندي مليئة بالألوان الأدبيّة المختلفة كما هو يقول :

يا مهذب ويا ملاذينا

بين شفتيك ماء يحيينا

هفوة الحبس صار يغوينا

منك سجل الفيوض يكفيننا

فاقطعوا أسها حفت فينا

من سعيد تقول آمينا³⁰

نجد في هذه الأبيات المعاني وفق الموضوع والموضع لأن محمد سعيد السندي قد استخدم في شعره الألفاظ في صورة المعاني الرائعة الجميلة وفق المقتضى كما نجد في هذا التخسيس صوراً جميلة رائعة:

"يا ملاذينا"

"هفوة الحبس"

"يغوينا"

"أسها"

وعند ما ننظر إلى أبيات محمد سعيد السندي حول مدح النبي ﷺ فنجد فيها ألوان الصور الفنية جميعها وشعره مليئة بالتصوير الأدبي بعيداً عن التكلف مع تجديده في أساليب النثر المألوفة فلا يجد القارئ التكلف في سجع ولا التصنع في صورة شعرية بل يطالعه سجية مرسلة وخال من كل زخرف. نجد فيه لون التشبيه والمجاز والاستعارة. هناك عند أهل البلاغة الأدبية ثلاثة أنواع الصورة الفنية ومنها الصورة الفنية المقابلة وهذا المصطلح بتهادى إلينا من التعريف الشائع للتشبيه مقررًا للتشبيه مقررًا أنه عقد موازنة بين شيئين أو أكثر بأداة لغرض بقصده المتكلم وهذا التعريف يؤكد: أن أسلوب التشبيه يتضمن طرفين: أولهما يتمثل شيئاً أمراً، ثانيهما مستوى صورة تقابل الطرف الأول على أساس صفة أو صفات مشتركة تجرى الموازنة بينهما. الآن نعرض بعض أبيات محمد سعيد السندي كما هو يقول في قصيدة "المناجات":

ينور وجهك الظلمة كشمس في ضحايا ما
فضوءك منه مندرس ضياء البدر والنجم
ومثل الروح جسمك ظاهر ظله لذا عدما
فدرك العقل عن ذاتك كغيب الله في حرم³¹

وأما النوع الثاني من الصورة الفنية فهي الصورة التجريدية وهي الصورة التي صورتها الأديب أو الشاعر من الحقائق الخفية وينهض بناءها على نمط من أنماط أسلوب المجاز وجدنا في شعر محمد سعيد السندي النماذج الكثيرة المتعددة تدل على مظاهر الصورة التجريدية التي تكشف لنا الخصائص المعنوية الخفية لنبينا ﷺ كما هو يقول محمد سعيد السندي:

وحب الذات أيضا موجبا لعبودة صرف
سواله منك يا خير الرسل يا شافي السقيم
ومن ديمك فقد غرقوا الرسل والأنبياء أجمع³²

والنوع الثالث من الصورة الفنية هي الصورة المجسمة وهي الصورة التي ترسم بوساطة الاستعارة التي قررها جمهور البلاغين ضربا ثانيا من الاستعارة تقابل الاستعارة التصريحية ، ويقول محمد سعيد السندي في هذا الصدد :

وكن معه بكل الآن والأحوال والصعب
شفيحاً غافراً غوثاً مزيل التعب والألم
ودارك يا حبيب الله غياث الخلق يا سيدي
سعيدا مستغيثا بك نكيس الرأس من ندم³³

وعند ما نطالع شعره خاصة قصائده المدحية للنبي الكريم ﷺ يتضح لنا أنه قد ذكر الأخيصة المتعدده في هذه الأبيات مثل الخيال الموحى لا يقرن الشاعر فيه صورة بأخرى بل ولا يخترع الصور والأشخاص والحركات والموضوع ، وإنما يعبر به عن إنفعاله وإحساسه بشئ ما في صورة توحى بمعان نفسية روحية تؤثر في النفس-ومن ذلك قول شيخنا محمد سعيد السندي:

حبك المصطفى يلاقينا
ذاك عمّا سواك يغنينا
وهو كالنار لاهب فينا
أسأل الله كي يعافينا
حقك المرتضى يكافينا
راجياً أن تقول آمينا³⁴

قد انفعّل محمد سعيد السندی بالحُب الرسول ﷺ وجاء الخيال فأظهر هذا الانفعال في صورة توحى بأن كل شئ منه محبوب ومرغوب فيه حتى جعل حبّه ﷺ وسيلة آتّى يلامب في قلبه وجسمه كالنار كي يطلب من الله تعالى العفو والعافية من الذنوب والآثام-وكما أن الصورة في هذه الأبيات توحى بقيمة الذهب وتوضح حقيقته في نظر النفس الكاملة في إنسانيتها-وقد يكون الخيال جامعاً بين أنواع الخيال من التأليف والخلق والإيحاء مثل قوله:

لى خطيئات فوق أن يذكر
كيف حالى يكون فى المحشر
التشبت بذيلك الأطهر
بك الجيئ إلى الله الأكبر
فلترحم لمذنب مضطر
رحمتك أن تقول آمينا
عبدكم أضعف من النمل
كل ما عندنا نرى الجبل
فاشفعوا قبل فنجاءة الأجل
بردا دا حرقة من الذلل
مبشرا جئت رحمة الممل
ابتشر أن تقول آمينا³⁵

في هذه الأبيات ذكر شاعرنا ميدان الحشر ومصائب ذاك اليوم وآلامه وكروبه لأن أنا عبد ضعيف مثل النمل وذنوبى كثيرة و متعدّدة مثل الجبل و أطلب المغفرة والرحمة والشفاعة في يوم القيمة قد استخدم شاعرنا في هذه الأبيات الأخيلى ويظهر من هذا أن له مهارة خاصة في استخدام الأخيلى الرائعة المبتكرة-

الموسيقى فن تأليف الألحان وتوزيعها، وإيقاعها، والغناء والتطريب والمراد به النغم الذى يشيعه كبار الأدباء، وبخاصة الشعراء في أقوالهم، فتعاون في آثارهم المعانى، المبانى، وجرس المفردات، والعبارات في تكوين أثر فنى رفيع المستوى.³⁶

الشعر أحد الفنون الجميلة التى تخاطب العاطفة وتثير الوجدان حيث يتمتع به كلّ البشر، صغيراً كان أو كبيراً، مثقفاً كان أو غير مثقف، لما فيه من الموسيقى التى تطرب الأسماع، وألفاظه تصل إلى القلوب قبل أن تصل إليها معانيها حتى الطفل الصغير، والرجل البدوى الذى لا يقرأ ولا يكتب، ولا يعرف العلم والأدب ولكن يدرك ما فيه من جرس الألفاظ، وإن لم يدرك الأخيلى والمعانى التى ساقها الشاعر

في شعره. فإذا من مميزات الشعر "الموسيقى" التي تزيه وتزيده حسنا وجمالا، وبهذا السبب، كان حفظ الشعر أسهل من حفظ النثر، لأنه يخضع لنظام خاص، يمثل في كونه موزونا ومقفى...³⁷ والخاصة في كل ما سبق أن الوزن والقافية هما لبنتان أساسيان في موسيقى القصيدة العربية. وبالنسبة للنص الذي بين أيدينا "الشعر العربي" و"قصائد مدحية للنبي الكريم ﷺ" فإننا سنتعرف على موسيقاه من خلال الموسيقى الخارجية "الوزن والقافية" والموسيقى الداخلية "موسيقى الألفاظ والمعاني وملاءمتها مع المشاعر والعواطف".

أولاً الموسيقى الخارجية: تتمثل الموسيقى الخارجية للشعر في الوزن والقافية، وقد عرف النقاد الشعر بأنه: (قول موزون مقفٍ يدل على معنى).³⁸ وأدركوا أن على الشاعر إذا أراد بناء قصيدة (مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعدله ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه).³⁹ يمتاز شعر شاعرنا بالموسيقى الخارجية وهي الوزن والقافية يلتزم الشاعر بالوزن والقافية في جميع قصائده المدحية خاصة في قصيدتي "المناجات" و"المناجات في التخسيس" وهاتان قصيدتان شهيرتان اللتان تملآن بالألوان البلاغية مثل التشبيه والاستعارة والمجاز والمعاني والمحسنات البديعية. كما هو يقول في مدح النبي ﷺ:

نبيا مرسلا قد كنت عند الله في غيبه
وأدم كان في سلسال حماء ساكن العدم
ومثل الروح جسمك طاهر ظلله لذا عدما
فدرك العقل عن ذاتك كغيب الله في حرم
ومن ديمك فقد غرقوا الرسل والأنبياء أجمع
وبحرك من فيوض الحق بالأمواج في اللطم⁴⁰

ونلاحظ أن شاعرنا قد التزم في هذه الأبيات بالوزن والقافية باتمام خاص ويأتي بالتشبيهات الرائعة والاستعارات القديمة والمحسنات اللفظية والمعنوية والعبارات بألفاظ مألوفة كي تظهر المعاني في صورة حسية والموسيقى الموجودة فيها تزيد في تأثيرها إلى درجة عالية.

أما الموسيقى الداخلية في هذه الأبيات فهي موسيقى العواطف والمشاعر التي توحى بأجرام الرنين المتناسبة مع صدقها، وتبرز للسامع من خلال الفكرة والألفاظ والتراكيب، وفكرة القصيدة هنا، فكرة موسيقية هي التغنى بالأمجاد على لسان طروب. وهذه الفكرة يأخذ شاعرنا عليه الرحمة منسجماً بالعقيدة الروحية حسب عقائد أهل السنة والجماعة، وخاصة أن النبي ﷺ لا مثل له ولا مثيل له ولا مماثل له، ذات النبي ﷺ ممتنع في النظر من ناحية الخلق والخلق. وهذه المشاعر والعواطف التي تدل على مكانة النبي ﷺ الرفيعة بين خلق الله كلهم وتفرد بالعلو والمجد وسموه في أعلى الندى. وهكذا

نجد الأمثلة المتعددة في شعره العربي عن الموسيقى الداخلية والموسيقى الخارجية كما هو يقول في قصيدة التخميس:

طال شوقي إليك وا شوقاه
ضاقت الأرض فيك واغوثاه
من هموم الفراق واحزنه
أنا عبد الذليل وا اسفاه
فاجزبوني إليكم بالله
جذبتك أن تقول آمينا⁴¹

وبإمعان النظر يتضح لنا أن شاعرنا قد استخدم في هذه الأبيات الموسيقى الشعرية الداخلية والموسيقى الخارجية معا، والموسيقى الخارجية هي التزام الوزن والقافية مثل وا شوقاه، واغوثاه، واحزنه، وا اسفاه وغير ذلك والموسيقى الداخلية هي موسيقى العواطف والمشاعر التي توحى بأجراس الرنين المناسبة مع صدقها، وتبرز للسامع من خلال الفكرة والألفاظ والتراكيب وفكرة القصيدة هنا، فكرة موسيقية هي التغنى بالأمجاد على لسان طروب -

خلاصة البحث

وبالجملة أن الشيخ محمد سعيد السندی شاعر عظيم وأديب فريد وفقه شهير ومفكر نابغ وقد نال منزلة كبيرة بين شعراء العربية في شبه القارة الهندية، وله قدرة فائقة بالغة في نظم الشعر لانظيره ولا مثال له بين شعراء شبه القارة الهندية في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم وكما نجد في شعره المحاسن الأدبية كثيرة وعديدة ومنها الكلمات السهلة والألفاظ النادرة والتراكيب المتينة السهلة والجمل القصيرة والأساليب المتنوعة القديمة والصور الرائعة بجميع أقسامها منها والمعاني السهلة والرصينة والأخيلة الخصبة وإلى جانب أخرى بعض الخصائص الموجودة في قصائده والتي لم نستطيع نذكرها بالتفصيل بخوف الطوالة فبعض منها التشبيه والاستعارة والمجاز والخبر والإنشاء والفصل والوصل والإيجاز والمساوات والإطناب والجناس والتورية والطباق والسجع والتصديروحسن الموسيقى وغير ذلك-

References

- ¹ Muhammad Saeed al-Sindhī, *Ishaqani, Saqaal-al-Zamaier Wa al-Msamrat al-Zamaier*, trans. *Muhammad Aadam* (Krachi: Lazer Enterprises, 2003), 298-264.
- ² Al-Sindhī, *Ishaqani, Saqaal-al-Zamaier Wa al-Msamrat al-Zamaier*, 298-265.
- ³ Hasan al-Baseer, *Binā al-Soora al-Fanniya fi Biyān al-Arabī* (Al-majma al-Ilmi al-Iraqi, 1987), 40.
- ⁴ Qudama Ibn Jafar, *Naqd al-shier*, ed. Al-Khafaji (Al-kulliyat Al-Azhariyah, 1302 H), 10.
- ⁵ Jaboor Abd al-Noor, *Al-Mojam al-Adabi* (Beirut: Dār al-Ilm li al-Malāyīn), 64.

- ⁶ Al-Sindhi, *Ishaqani*, Saqaal-al-Zamaier *Wa al-Msamrat al-Zamaier*,120.
- ⁷ Muhammad Saeed al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed* (Krachi: Rankeen Art Press, 1989),73.
- ⁸ Al-Sindhī, *Deewān-e-Saeed*,73.
- ⁹ Al-Sindhī, *Deewān-e-Saeed*73.
- ¹⁰ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,08.
- ¹¹ Al-Inshrah 94:04.
- ¹² Al-Toba 09:128.
- ¹³ Al-Sindhī, *Deewān-e-Saeed*,09.
- ¹⁴ Ikhlas I 12:01
- ¹⁵ Al-Duha 93:01
- ¹⁶ Al-Kawsar 108:01
- ¹⁷ Al-Sindhī, *Deewān-e-Saeed*,73.
- ¹⁸ Al-Sindhī, *Deewān-e-Saeed*, 73.
- ¹⁹ Imam Muhammad Ibn Ismāīl al-Bukhārī, *Al-Jāmi‘al-Sahīh*,4:635.
- ²⁰ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,08.
- ²¹ Muhammad Saeed Al-Sindhī, *Takmila al-Wardul Muhammadi*, ed. Saie Bakhsh Qabowlaie,2022),282.
- ²² Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,73.
- ²³ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,08.
- ²⁴ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,73.
- ²⁵ Ahmad Shaieb, *Usūl al-Naqd al-Adfabi*, (Cairo: Maktaba al-Misriyah,1973),243.
- ²⁶ Ahmad Muhammad al-Hofi, *Al-Duwa alā al-Adab al-Hadith*, (Cairo: Dār al-Nahdah li tabā‘ wa al-Nashr,1977), 417.
- ²⁷ Ibn Al-Aseer al-Jazarī, *Al-Mith al-Siyar*, 2:83.
- ²⁸ Jaboor Abd al-Noor, *Al-mojam al-adabi* (Beirut: Dzar al-Ilm li al-Malaiyn,),244.
- ²⁹ Al-Baseer, *Binā al-Soora al-Fanniya fi Biyān al-Arabi*,274.
- ³⁰ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,08
- ³¹ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,73.
- ³² Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,08.
- ³³ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,73
- ³⁴ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,08.
- ³⁵ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,08.
- ³⁶ al-Noor, *Al-Mojam al-Adabi*, 271
- ³⁷ Qudāma Ibn Ja‘far, *Naqd al-she‘r*, ed. Al-khafajī (Cairo: Maktaba Kullyat al-Azhariyah,1302),64.
- ³⁸ Ibn Taba al-Alwi, *Ayar al-shier*: ed. Abbas Abd al-Sattār (Beirut: Dār al-Kutib al-Ilmiyya,),11
- ³⁹ Al-Baseer, *Binā al-Soora al-Fanniya fi Biyān al-Arabi*,274.
- ⁴⁰ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,73.
- ⁴¹ Al-Sindhi, *Deewān-e-Saeed*,08.